

ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت، لما دخلت على «فرحة» توقظني قبل موعدي المألوف بساعتين، وتخبرني أن أختي تصيح على وتدعوني إليها في غرفتها. وقد عجبت، وحق لي أن أعجب.. فما أعرف موجبا لإزعاجي في مثل هذه الساعة المبكرة — السابعة من فضلك — ومع أختي زوجها، فما حاجتها إلي؟ وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة، ولكن «فرحة» أبت أن تمضي عني وتدعني أستأنف النوم.. فتمطيت وفركت عيني وتثاءبت وقلت لها: «ماذا هناك يا فرحة»؟

فقلت بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها المتزن النبرات الذي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة واحدة في عشرين عاما قضتها معنا مذ كانت طفلة: «إن الأمر يستدعي وجودك».

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة، قد رباها أبى مع أختي وعُنى بتعليمها أيضا، وجعل لها حصة في الوقف الذي وقفه قبل وفاته. وكانت هذه مفاجأة سارة لنا، فقد أحببنا فرحة حب الأخت. وكانت هي — وما زالت — ربة البيت. ولسنا نعاملها معاملة الخدم وإنما نعددها واحدة منا لها علينا مثل الذي لنا عليها. وحسبك منها، أنها ما أخذت في حياتها معنا أجرا على خدمة، وأنها بعد وفاة أبينا لم تحاسبنا قط على ريع حصتها وإن كنا نودعه البنك باسمها.. فإذا أرادت ثوبا أو خاتما أو غير ذلك طلبته منا، كما يمكن أن تطلبه أختي منى أو من زوجها. فإذا كانت تقول الآن أن الأمر يستدعي وجودي، فقد صار القيام لابد منه.

ودخلت على أختي وورائي فرحة، فألفيتها مستلقية على السرير في منامة قرمزية مزركشة ومعمدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة محشوة بريش النعام وخدها على راحتها ويسراها على فخذها وبين أصبعيها سيجارة.. وكان منظرها فاتنا فإنها جميلة ممشوقة، وكانت هذه الرقدة تبرز خطوط جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه. وكان زوجها قاعدا فوق السجادة، فنظرت منها إليه وقلت: «لا عجب أن تدللها.. لست بإنسان إذا لم تفعل».

فابتسمت مسرورة وأدنتني منها وقبلتني، وقالت: «اجلس هنا.. إلى جانبي على السرير.. وأنت يا فرحة.. قصي عليهم الحكاية» فأراحت فرحة أناملها على شبك السرير وأشارت بيدها الأخرى إلى منضدة صغيرة قريبة وقالت: «قبل أن أترك الغرفة وضعت بيدي عقدتها — وأشارت إلى أختي — على هذه المنضدة، وفي الصباح دخلت عليها فلم أجده. وسألتها عنه فقالت إنه في مكانه، فذهبت إلى البك — تعنى زوجها فإن